

المجلد 09 / العدد 02 / ديسمبر (2025)، ص.ص. 430-438

قراءة في سياق الغائب صورة المرأة وخطابات السجال مع الآخر،
رواية جومانا لأحمد آل حمدان أنموذجا

Reading in the context of the absent: the image of women and the discourses of debate with the other, the novel Jumana by Ahmed Al Hamdan as a model

سارة بوطويل

saraboutouil1990@gmail.com

جامعة خميس مليانة
(الجزائر)

تاريخ النشر: 2025/12/02

تاريخ القبول: 2025/11/11

تاريخ الاستلام: 2025/07/09

ملخص:

تهدف هذه الأوراق البحثية إلى الكشف عن سياق الغائب في الرواية، وبالتحديد صورة المرأة وخطابات السجال مع الآخر، حيث يمثل هذا الأخير السلطة أو الهيمنة الذكورية (الأب/الزوج)، سلطة المجتمع (العادات والتقاليد)، والطبقية (العرق).

ولهذا تقدم لنا رواية "جومانا" كيف أن المرأة تسعى إلى التمرد بكسر حواجز القوانين لتعبر عن وجودها ومركزيتها بين أقرانها، وكيف تتخذ لذاتها هوية متفردة مقابل الآخر الذكوري، كما أنها بنت لنفسها هوية مستقلة بعيدا عن الجسد، وبالتالي فقد خرجت من قالب الضحية إلى الفاعلة المضحية والمتمردة، فرواية "جومانا" بمزجها بين الإنسان والجن سعت إلى تفكيك الهيمنة الذكورية.

كلمات مفتاحية: الغائب/المسكوت عنه، المرأة، خطابات السجال، الآخر، الهامش/المركز.

Abstract:

These research papers aim to reveal the context of the absent in the novel, by defining the image of women and the discourses of debate with the other, where the latter is represented by male authority or dominance (father/husband), societal authority (customs and traditions), and class (race). Therefore, the novel "Jumana" presents us with how women seek to rebel by breaking the barriers of laws to express their existence and centrality among their peers, and how they adopt a unique identity for themselves in contrast to the male other. They also built an independent identity for themselves, far from the body, and thus emerged from the victim mold to the sacrificial and rebellious actor. The novel "Jumana,"

by mixing humans and jinn, sought to dismantle male dominance.
ArabicKeywords: The absent/the unspoken; woman; Controversial speeches;
The other; Margin/Center.

مقدمة:

تعددت الرؤى والمفاهيم الثقافية حول الحركة النسوية، إلا أنّ مركزها أو بؤرتها الأساسية تدور حول صورة المرأة ومكانتها في المجتمع، وفي نظر الآخر/الرجل، فقد انطلقت أساسا لتحرير المرأة من القيود التي عهدتها سابقا، بإعطائها حق التعبير عن نفسها والتحكم في قراراتها وهذا ما سنشهد من خلال رواية "جومانا" لأحمد آل حمدان، حيث بالرغم من أنها ممزوجة بين الإنسان والجن إلا أنّها تعبر عن الواقع، الذي تم مزجه بالحقيقة والخيال، فرواية "جومانا" تمثل مرآة عاكسة لحقيقة أو صورة المرأة النبطية في المجتمعات العربية، فهي كيان مهمش ذات الصيت الغائب، تحكمها عادات وتقاليد سنّها الآخر/الرجل، ليحقق هيمنته الذكورية عليها، إلا أنّ شخصية "جومانا" التي سنشهد من خلال الرواية تحمل معان عديدة محملة بشفرات تعبر عن حقيقة مزجت بالخيال، وهذا ما نجده في كلام "أمبرتو إيكو" Umberto Eco: "تحدد الحقيقة من خلال المسكوت عنه أو ما قيل بطريقة غامضة، ويجب فهمها بعد فهم ما هو ظاهر وحرقي"¹، لذا فإنّ المصريح به في قالب الجن ومغامراته ما هي إلا واقع معاش، فُرض على المرأة فأصبحت بذلك خاضعة وحقوقها غائبة أو مسكوت عنها بغرض إقصاء العنصر الأنثوي، وعدّها جسدا خاضعا للسلطة الذكورية (الأب/الرجل)، بمعنى أنّ الرواية النسوية هنا جاءت بهدف نقل معاناة المرأة العربية، محاولة بذلك تخليص جسدها من صفة المتعة، فقد أصبح لها وعي بذاتها وبخصوصية جسدها الذي جعلت منه مركزا لكيانيتها، عكس ما كان عليه سابقا مجرد أداة للترفيه ومتعة الآخر.

إشكالية البحث:

يطرح هذا البحث جملة من الإشكاليات وهي:

- لكن ما هي الغاية الأساسية من المزج بين الحقيقة والخيال وتوظيف الجن الإنسان في هذه الرواية النسوية المكتوبة بقلم الآخر/الرجل (أحمد آل حمدان)؟

- وما الذي سكت عنه في الأوطان العربية، حتى دفع بهذا القلم إلى تجسيد صورة المرأة في قالب عوالم الجن، وهل بقيت نمطية أم تفككت واندثرت؟

أهداف البحث:

تهدف الدراسة إلى تحديد سياقات الغائب التي سكت عنها الإبداع في هذه الرواية، بالإضافة إلى الكشف عن خطابات السّجال مع الآخر وصورة المرأة النبطية أو المتمرّدة الواعية.

منهجية البحث:

استندنا في دراستنا النقدية على نظريات ورؤى النقد النسوي الذي يُعنى بتحليل الخطابات الذكورية بهدف إنصاف المرأة ومساندة قضيتها، بالإضافة إلى الاستعانة بأدوات النقد الثقافي باعتباره المظلة المفتوحة التي ينطوي تحتها النقد النسوي.

1- المرأة في سياق الغائب:

تسعى الرواية النسوية إلى الجمع بين السياق الغائب والحاضر، حيث لا يمكن لأي قراءة أن تكتمل بدون النظر إلى ما وراء السطور، فمثلا كتاب كلية ودمنة لصاحبها "ابن المقفع" هي عبارة عن حكايات على لسان الحيوان لكنها تمثل واقعا سياسيا معاشا، تحمل في طياتها مبادئ أهمها الحكمة والأخلاق؛ وعلى هذا الأساس جاءت رواية "جومانا" لصاحبها أحمد آل حمدان، حكاية الإنسان والجن التي تعبر لنا عن واقع المرأة في الوطن العربي، وما تعانيه من ضغوطات أسرية، اجتماعية... حيث يتم تغيب صيتها في مختلف السجلات الاجتماعية، فتظهر كرمز لا كوجود مستقل ولهذا فالحركات النسوية سعت إلى انتهاج استراتيجيات تخوض من خلالها سياسة تغيير الوضع المتعارف عليه من هيمنة وسلطة (الذكر - المجتمع - العادات والتقاليد)، حيث قامت بنقد القوى المؤسسة والداعمة للذكورية في "النسوية هي توجه سياسي يدعم حركة المرأة الجديدة ضد الأبوة والتمييز الجنسي"²، فرواية "جومانا" تدعو إلى المساواة والعدل بين الجنسين وحتى المساواة في العرق (أبيض/أسود)، لكن في حدود الأخلاق التي تحكم الوطن العربي من أجل مراعاة الهويات والحفاظ على الخصوصية. ففي الأساس "متصل من حيث المبدأ بالنضال النسوي. فالبحث النسوي يتصدى للبنى الفكرية والاجتماعية والإيديولوجيات القائمة على قهر النساء، وذلك عبر توثيق حيوات النساء وتجاربهن وهن، والقاء الضوء على الأنماط والتحييزات القائمة على أساس الجنس، والكشف عن معارف النساء التي طال إغفالها"³، فالمرأة خرجت من سياق الغائب الذي أدخلوها فيه بحكم سلطوي فقد سعت جاهدة لاستنطاق أنوثتها بعيدا عن حيز الإغراء والترفيه الذي حوصرت به إجبارا وبالتالي في "المرأة تتمركز حول أنها، والبحث عن الحرية"⁴ فمثلا في المقطع الموالي من رواية "جومانا": "داخل عينيها البندقيتين: حياة وأقدار، وبحر عاصف وأسرار، وملحمة اسمها الطين والنار"⁵ فهذا المقطع يحمل بدلالات كثيفة ورموز عديدة، فقد أصبحت المرأة كيانا محملا بالرموز، بداية من العين التي اتخذت سلاحا ثاقبا تسعى من خلاله إلى رؤية واضحة تسمح لها باتخاذ قراراتها وتحديد مصيرها بنفسها؛ أي من امرأة خاضعة إلى أخرى مواجهة للواقع وما يحمله من حياة وأقدار، فالثنائية الأخيرة مليئة بالتناقضات والحتميات تتطلب منها قوة وثباتا حتى تواجه قدرها وحتى لا تكون مسيرة بل مخيرة، لهذا "جومانا" تحاول بكل قوتها ألا تكون خاضعة ولا مقهورة، وإنما متمردة كالبحر العاصف محاولة بهذه الثورة تغيير الواقع الذي اعتادت عليه الذات الأنثوية، محافظة على خصوصيتها وأسرارها، فهذا التغيير عُدَّت ملحمة مزوجة بمختلف التناقضات السائدة كالقوة والضعف، الهدوء والثورة، الخلق والتدمير، فالمرأة كسرت حاجز الصمت واتخذت لنفسها مركزا غير خاضع لسلطة الآخر، بغرض تقويض الأنساق الثقافية التي حطت من الوجود الأنثوي الذي أصبح يُعتصب بموجب محقوق وكأَنَّ الذات الأنثوية شئ لا قيمة له يمكن التخلي عنه في أي لحظة، لا انتماء لها ولا هوية فهل "أنا في حاجة على الآخر لأكون ما أنا عليه.."⁶ فكأنَّ المرأة كائن لا يثبت وجوده إلا بالطرف الآخر عدى ذلك فهي تمثل صورة نمطية اعتادها المجتمع، ويتجلى ذلك من خلال المقطع التالي من رواية "جومانا": "بعد قليل يأتي اللص الخامس حاملا غنيمته فوق كتفه: فتاة حسناء جميلة يميزها شامة وردية على خدها الأيمن تشبه ثمرة الخوخ.. يقول وهو يطرَحها أرضا: لا شئ يسر الفؤاد غير فتاة يقتسمها الأصحاب فيما بينهم.

يضحك للصوص مما سمعوه إلا واحدا منهم وقد كان رجلا في بداية الخمسين من عمره، حاد الملامح ذا بشرة سوداء محيب الطلة إذ يقول معترضا:

نحن لصوص لكننا رجال، والرجال لا يعتقدون على الأعراض"⁷. كما هو متعارف عليه في الثقافات ذات الطابع الذكوري فالمرأة أداة للترفيه والمتعة، وهذا ما رسّخه المجتمع في أذهان الآخر بداية من البيت وصولاً إلى الشارع والعمل حيث أنّ "عنف الرجل وفرض سيطرته عليها سواء بالضرب أو القتل أو التهديد"⁸، كما أصبحت قضية التحرش أكثر من شائعة، لكن من خلال رواية "جومانا" أظهرت لنا نوعين من السلطة الذكورية فمنهم من يتمسك بفكرة تغييب المرأة وتهميشها وهذا ما تجلّى في اللصوص الأربعة الذين استحلوا لحم الفتاة في حين اللص الخامس فهو رافض لفكرة انتهاك العرض من الأساس، فالمنظومة الذكورية منقسمة إلى فئتين: فالفئة الأولى ترى أنّ المرأة حلال دمه وعرضها، حيث تم تصنيفها على أساس أنها غنية يُستباح هتكها وتقسيمها فيما بينهم، فهنا قد صُنفت من بين الممتلكات المكتسبة، فقد عُتبت مركزية المرأة وكيونيتها وحصرت في كونها جسدا خاضعا مسلوب الإرادة، حُلقت لارضاء رغبة الآخر فقط، فهذا ما يمثله تهमيش المرأة وذاتيتها لا صوت ولا إرادة لها مع السلطة الذكورية، وهذا ما يجعل المرأة في موقع الغائب المنتهك. في حين الفئة الثانية: والتي يمثّلها اللص الخامس الرافض لاستغلال المرأة وهتك العرض عموماً، بالرغم من اعترافه بالذنب المقترف والممثل في السرقة لكنه يرى نفسه رجلاً شريفاً، حيث تحكمه المبادئ والأخلاق، بمعنى أنّ المؤسسة الذكورية نفسها ينتج عنها صوت رافض لقمع صوت المرأة واستغلال جسدها احتراماً لها ولنفسه، وهذا الصوت المعارض ما يثبت لنا أنّ صاحب الرواية أحمد آل حمدان وبتصويره لهذا المشهد فهو يصف حال الواقع المتأزم الذي تعيشه المرأة في حكم الآخر/الرجل المتسلط، كما يقدم لنا هذا المشهد البعد غير الأخلاقي الذي ترعرعت في ظله تلك الفئة. لهذا فإنّ هذا المقطع يبرز لنا وجهين لعملة واحدة (الرجل) ألا وهما: رجل تحكمه الأخلاق والمبادئ، ورجل تحكمه الرغبة الجنسية والسلطة الذكورية. بمعنى أن المجتمع يملكه صنفان؛ صنف الضمير الذكوري الذي يحاول مقاومة التشويه الأخلاقي، وصنف يبين المرأة وكيونيتها ويدعم العنف ضد المرأة لهذا وجدت المرأة نفسها في صراع بين الأنا/الآخر حيث كان هذا (الأنا) بطلا بدون حروب يخوضها في الميدان ولكنها على أسرة المتعة والممارسات الانتقامية من (الآخر) في صورة الأنثى.. موهمة نفسها بأنها تنال من الرجل الذي تغلبت على ذهنه فكرة تهميش المرأة⁹.

2- صورة المرأة وخطابات السّجال مع الآخر:

لأزالت صورة المرأة في مجتمعتنا العربي نمطية وخاضعة لمعتقدات العادات والتقاليد، حيث يمثّلها دائماً الآخر/الرجل بأنها ناقصة عقل ودين، بالإضافة إلى ضعفها الذي اقترن بها لقوامته عليها، وهذا التمييز يرجعه "كلود ليفي سترأوس" Claude Lévi-Strauss إلى أنّ "مكانة المرأة تتجسد عن طريق الانتقال التاريخي بين نظامين اجتماعيين هما النظام الأمومي الذي تمثله المرحلة الأولى، والنظام الأبوي البطريكي الذي تمثله المرحلة الثانية، هذا الانتقال الذي كان أعظم ثورة اجتماعية في العالم القديم ناتج عنها وكان لهذه الثورة أعظم الآثار بين الرجل والمرأة"¹⁰، لهذا فإنّ هذه المرأة تبقى تابعة لأصلها الثابت الذي جعل منها تابعا وخاضعا دون اكتمال هويتها، وهذا ما جعل فئة من الصنف الذكوري يتصرف معها بمثل ما تقدم في المقطع التالي من رواية "جومانا": "إذا كنت غير راض عن هذه الغنية فتنازل عن حقا فيها.

هذه ليست غنية يا قبشار، إنها فتاة.

ولماذا خلقت النساء؟.. أليس لإمتاع الرجال؟

ضحك بقية اللصوص من كلامه؛ فقال ميمم يجادلهم بذات المنطق:

-إذا كان هذا منطقكم فاجلبوا لبعضكم أمهاتكم وأخواتكم إذا.

انقطع الضحك

قال أحدهم:

-اعتذر أيها الأسود الحقير - وأردف مهذبا:

-اعتذر كي لا أبتر لك قدمك الثانية وأركلك بها.

-إذا كان هناك من يجب أن يعتذر فهو الشخص الذي أخاف

هذه الفتاة المسكينة.

وقال يدعوهم بالتى هي أحسن:

-دعوها تذهب؛ إنَّ الرب يرحم الذي يحسن إلى النساء"¹¹، في هذا المقطع نلمس صورة المرأة غائبة الصيت والخاصة، كما نلمس جانب آخر يتمثل في العنصرية إذ أنَّ اللَّص الرافض لمعاملة الفتاة بتلك الوحشية الذكورية، أُهين لمجرد تمسكه بمبدأ الرجولة المحملة بالمبادئ الأخلاقية والنفس الغنية بالسلمات الراقية، حيث لقب من طرف "قيثار" بالأسود، هنا الآخر لا يبقى فقط الآخر/رجل (بالنسبة للمرأة) وإنما أيضا نجده الرجل ضد رجل آخر، حيث بهذا التصنيف أصبح الأبيض هو المركز والأسود هو الهامش، فخطابات السجال مع الآخر متعددة: رجل/مرأة، أبيض/أسود. كما أنهم أحلوا لأنفسهم النساء الأجنبية، لأنه بمجرد ذكر ذويمهم عم الصمت لغرابة الموقف وثقل وزنه عليهم. وشخصية "ميثم" تطرقت لمثل هذا المنطق حينما عدوا الفتاة غنيمة يحق لهم انتهاكها فردا فردا، طالبا منهم الرأفة بها حتى يرأف بهم الله تعالى، في كل مرة يحاول إثبات احترامه لذاته وللمرأة على وجه الخصوص. فهذا المشهد ملئ بخطابات السجال، فمن الأخلاق لا يمكن تصنيف المرأة في خانة المتعة ولا تبرير الاغتصاب والعنف ضد الأجنبية بهدف إشباع السلطة الذكورية، فبذكره للأم والأخت أثبت بذلك ذاتية المرأة ومركزيتها، وبالتالي هنا السارد يوجه رسالة للقارئ إذ يدعوهم إلى التركيز في المنظومة الأخلاقية والثقافية التي تحكم المجتمعات. كما أشرنا سابقا أنَّ المرأة مقيدة من نواح عديدة تحكمها العادات والتقاليد والمجتمع والسلطة الأبوية وهذا ما هو متجل من خلال المقطع الموالي: "رغم أنَّ الغابة كانت تضج بحراس العائلة إلا أنها استطاعت التسلسل بينهم... ولكنها ما أن فتحت الباب حتى صدمت برؤية شخص ما...".

-لقد عصيت وأوامري وذهبت مرة أخرى لمساكن البشر.

اغلقت جوماننا الباب خلفها وهمست متوسلة:

اخفضي صوتك، سوف يسمعك أي..

-ليسمع؛ فما حدث اليوم لا يمكن السكوت عنه.

يجب أن يضع والدك حدا لك قبل فوات الأوان.

-أرجوك لا.. لا أريده أن يغضب مني...

-أنت جميلة يا جوماننا وكل شيوخ الجن وفرسانهم يتبنونك، ولكن لن يرغب أحد منهم بالزواج منك لو عرف أنك تخالطين البشر كل يوم"¹²، فكما أسلفنا سابقا فإن المرأة محكومة بحدود تسيورها، "جوماننا" ليست لها حرية التنقل كما تهوى فالسلطة الأبوية الأب/الأم تمنع ذلك، كما تحكمها أيضا قوانين عالم الجن أو ما يمكن القول عنه المجتمع، فإن خالقهم فسمعتها ستتحدر وستبقى عانسا كما أشارت والدتها. لكن ليس كل سلطة أبوية هي متحكمة ومتجبرة "فجبار" والد

"جومانا" له فنانة ثابتة تتمثل في: "لاحترام الآخرين له هي احترامه هو لرغباتهم ومنحه إياهم الحرية الكاملة _ طالما _ أن تلك الحرية لن تتسبب بأذية الآخرين من أفراد العائلة:

سأسمح لك بالذهاب..

لكن هناك شرط..

أن تلتزمي بقانون العائلة"¹³. بمعنى أنّ سلطة الأب حاضرة في كل زمان ومكان، لكنها تختلف من أب لآخر فهناك الهيمنة التي تطوق المرأة فتحرمها من أبسط حقوقها، في الجانب الآخر والذي مثله جبار سلطة بعقلانية أي مسموح بمنوع، حتى يضمن خضوعها بطريقة لينة لا بالإجبار، لأن جومانا شخصية متمردة ومستقلة وهذا ما أثبتته المقطع السابق. كما أنه لا يمكنها ممارسة حريتها خارج دورها الأنثوي التقليدي المحكوم بالاستعباد "وإذا كان للمرأة بعض الحرية في الحركة خارج فضاءها المحدود فإنّ هذه الحرية المشروطة ترتبط أوثق ارتباط بمظهرها الحجابي من جهة وبقدرتها على تمتل عنصر الغياب. إنّ المطلوب منها ألا تثير الانتباه إلى أنوثتها وجمالها وألا تقوم بما من شأنه خلخلة الفضاء الذكوري العام أو أن تكون مصحوبة بأي شخص كميل بحمايتها من نفسها ورغباتها. بهذا المعنى... يمكن المحدد الفضائي من التعرف على موقع المرأة الوجودي والاجتماعي، بالشكل نفسه الذي يشير إلى القيم الاجتماعية المتداولة بين الفضائيين، فإذا كان محيط المرأة عائليا فإنّ محيط الرجل اجتماعي عام..."¹⁴، في حين تمثلت سلطة الأم في التهديد والوعيد وكل هذا خوفا منها بأن لا تتزوج ابنتها من فرسان وحكام القبيلة، فهيمنة المرأة هنا كانت على امرأة مثلاً فهي تحاول إخضاعها للقوانين حتى لا تخسر مكانتها ورغم انفصال الأم والأب إلا أنّ السيطرة على البنت لا زالت قائمة من طرف الأم وهذا لـ "التأكيد على استمرار مرحلة الأمومة والتخلص من مرحلة الأبوة، ووصاية الرجل/ الزوج، بشتى صورها، يعني استمرار تيمة الخصوبة والأمل واستشراف المستقبل.." ¹⁵ فصورة الأم كما في الحياة مثالية ومتعود عليها كالخوف الزائد على الأبناء وهذا ما وجدته جومانا من أمها ولكنها عدت ذلك الخوف تحكّم في قراراتها ومصير حياتها من خلال منعها من الاختلاط بمن ليسوا من بني جنسها أو من نفس طبقتها، وهذا ما يمثله دائماً الصراع الطبقي، فمنعها من الذهاب إلى البشر فلكونها تراهم أخطر وأدنى منها قيمة مقارنة مع عوالم الجن. لكن "جومانا" رأت فيهم ما يدفعها كل يوم إلى الذهاب إليهم وكونت صداقات معهم إلى درجة الدفاع عنهم وكسر قواعد العائلة وهذا ما تجلّى في المقطع التالي: "كانت شراكة جادة صادقة.. يخططان فيها لكل شيء... والأهم من هذا وذاك هو الصدق والأمانة بينهما.. سارت صداقتها على خير ما يرام... فما وطئت قدماه أرض الغابة حتى هجمت عليه الحارسة كوبرا أفعى الجن تارا من بين الأشجار.. تارا.. لا.. أرجوك.. أنه صديقي.

أوقفت تارا ضربتها احتراماً لصاحبة الصوت...

لقد دخل الغابة ويجب أن يقتل؛ إنه قانون العائلة.

كل من يحاول أذية صديقي هو عدوي؛ إنه قانون الصداقة"¹⁶، ف "جومانا" تمثل المرأة المستقلة والمتمردة على العادات والتقاليد، رغم السلطة الأبوية وسلطة المجتمع، إلا أنها خلقت لنفسها هيمنة وكيونة خاصة بها، من خلال صداقتها بالبشر التي من خلالها أسقطت قانون العائلة للحفاظ على حياة أصدقائها، نتيجة لتمرد هذا أودت بنفسها إلى التهلكة وهذا ما نلمسه من خلال المقطع التالي: "من أي عوائل الجن أنت أيتها الساقطة؟

..-

-صرخت الغيساء:

-تكلمي عليك اللعنة

-لماذا تسألين عن عائلتي، هم لا شأن لهم بهذا الأمر..

-أنت من الأباطرة؛ وإلا لما كنت كتمت عني اسمهم..

-ابنة أي فحل منهم؟

-جبار

ما إن سمعت الغيساء بذلك الاسم حتى بدا عليها القلق؛ إنها تعرف ما قد يفعله بها جبار وبأفراد قبيلتها...

-غادري هذا المكان ولا تعودي إليه أبدا..

-ولكن هذه الصبية السوداء ستبقى هنا..

-دم الصبية السوداء هذه مقابل دماء غليظة وحجاج"¹⁷، من خلال هذا المشهد يتضح أنه رغم استقلالية المرأة إلا أنها تسمى بنسبها (الأب، الزوج)، وكما تطرقنا سابقا إلى مفارقة العنصرية والطبقية "جومانا" بحكم طبقة عائلتها الحاكمة انتابها - غيساء- خوف من جبار، ولكن الفتاة "ريحانة" حُكِمَ عليها بالإعدام مقابل دماء الحكام (غليظة وحجاج)، لكونها سوداء فتم اعتبارها أداة للمقايسة وتشجيع لأتوبيتها. "جومانا" هنا مثلت نسقا ثقافيا محملا بالقيم والمبادئ الأخلاقية، صوت أنثوي ممزوج بالتحدي، فالمرأة هنا قدمت كجزئية بين الحضور الجسدي وغياب الصوت الأنثوي. بمعنى أن صورة المرأة ليست نمطية كما هو متعارف عليه وإنما هي فاعلة مستقلة لذاتها.

بعدما أقضت "جومانا" حياة "ريحانة" رغم تخطيطها لقوانين عائلتها، عادت لصديقها متأمة فرحة للإنجاز الذي قامت به، إلا أنها وجدته مقتولا، "ظهرت جومانا في حجرتها وبدأت تحطم الأشياء- وكانت تلك طريقها في التنفيس عن غضبها- واستمرت حتى ما عاد في حجرتها شئ قابل للتحطيم. تمددت وسط كومة الحطام.. وضعت يديها خلف رأسها.. تفكر في ما آلت إليه الأمور

أولا: لقد تعلقت به وربما هذا هو سبب رحيله؛ لذلك قررت عدم التعلق بشئ مرة أخرى حتى لا يرحل عنها.

ثانيا: هي لم تكن يوما بتلك القسوة -قسوتها مع والدتها- ولكنها أدركت أن لا أحد يقيم وزنا للطيبين، وأنتك لتضمن عدم تلقيك مزيدا من الضربات يجب عليك ألا تكون طيبا.

ثالثا وأخيرا فإنها من خلال تأملاتها في مجريات الأمور توصلت إلى هذه النتيجة: وهي أن الآخرين يفكرون ألف مرة قبل إقدامهم على أمر يخص شخصا قويا، أما الضعفاء فلا أحد يكثر بشأنهم"¹⁸ وبالتالي "جومانا" توصلت في آخر المطاف إلى أن المرأة الضعيفة لا يقيم لها وزن، وحتى ولم تكن امرأة فقد يكون رجلا وضعفه سيكون في حياته الاجتماعية المتوسطة أو الكادحة، فهذا سيشكل عائقا كبيرا في حياته فلن يكثر له أحد. بمعنى أن المجتمع مكون من طبقتي الضعفاء والأقوياء التي سينتج عن لقاءها خطابات سجال مختلفة ومتناقضة بين المرأة/الرجل وحتى بين المرأة/المرأة وأيضا الرجل/الرجل. على هذا الأساس اختارت "جومانا" استقلاليتها بالتخلي عن قواها الحارقة والزواج من فرسان عالم الجن مقابل إكمال حياتها مع البشر والزواج ممن تحب: "عقدت عائلة الأباطرة اجتماعا طارئا في الغابة ليناقشوا فيه أمر ارتباط ابنتهم الجنية... بمخلوق بشري..

-هل تعلمين أن زواجك من بحر سوف يكلفك قوة النار خاصتك..

قراءة في سياق الغائب صورة المرأة وخطابات السّجال مع الآخر، رواية جومانا لأحمد آل حمدان أنموذجا

هل تعلمين أن زواجك منه يعني التخلي عن كونك فردا من أفراد عائلة الأباطرة؟ سيصبح بحر حينها عائلي وسنكون أنا وهو عائلتنا الخاصة..¹⁹، "جومانا" احتارت طريقها رغم فقدانها لأهلها ولقواها النارية، فقد اتخذت لنفسها عائلة أخرى من البشر بعيدا عن عالم الجن، حيث أنها بقيت متمردة على الواقع ومستقلة في اختياراتها مثبتة كينونتها وهيبتها على حياتها الخاصة.

-خاتمة:

وفي نهاية هذا البحث يمكن أن نشير إلى أنّ الحركة النسوية سعت إلى تخليص المرأة من هيمنة الرجل وسلطة المجتمع، وهذا ما ظهر جليا لنا من خلال رواية "جومانا"، إذ قدمت لنا صورا عديدة عن المرأة؛ منها النخبة والأخرى المتمردة المستقلة بذاتها، كما صورت مشاهدا خطابات السّجال مع الآخر، والتي أدت بنا إلى نتائج أهمها: ثنائية الآخر متعددة ومتنوعة حسب الموضوعات أو التيمات الأساسية التي وردت في الرواية، فأهمها الآخر/الرجل التي مثلها اللّصوص بمحاولتهم قمع صيت الفتاة وانتهاك عرضها بمجرد أنها غريبة عنهم، في حين يوجد ضمن هذه الثنائية (ميثم/الآخر) معارض لهذا التصرف الشنيع، إذ أنّه يتمتع بمبادئ أخلاقية وقيم دينية. السلطنة الأبوية (الآخر/الأب ميثم) الذي قام ببتز رجله وتقديمها كطعام لابنته "ريحانة" حتى لا تموت جوعا، ولكنه في موقف آخر باع ابنه "أيوب" من أجل أن يجلب الدواء لزوجته حتى لا تموت، لكنها ماتت حسرة على ابنها، فالتضحية هنا كانت واضحة في موضعين الأب/الزوج.

-السلطنة الأبوية (الأم/الأب) "جومانا" تعرضت لسلطة والديها بفرضهم لقوانين العائلة عليها، لكن الأم كانت تهدد وتتوعد في حين الأب كان يحترم قرارات ابنته بالرغم من قسوته. حتى أنّ الحيوان في عرفه يسعى للحفاظ على أبنائه، وهذا ما قامت به العنقاء حينما لجؤوا إليها بغية اخذ دموعها متخذين إياها دواء لصديقهم، فقد أبكوها على أحد أبنائها فهاجمتهم بشراسة. ولكن رغم كل هذه السلطات إلّا أنّ "جومانا" اختارت لنفسها عائلة أخرى مستقلة بذاتها وكيانها.

- قائمة الإحالات:

1 -Eco, Les Limites de l'interpretation, p 55.

2- ينظر، توريل موي، النسوية والأنثى والأنونة، تر: كورنيليا الخالد، ص 64-65.

3- شارلين ناجي هبسي باير باتريشيا لينا ليفي، مدخل إلى البحث النسوي ممارسة وتطبيقات، ص 27.

4- رشيدة بن سعود، المرأة والكتابة، ص 26.

5- الرواية، ص 09.

6- محمد عابد الجابري، الاسلام والغرب، الأنا والآخر ومسألة الغيرة، ص 22.

7- الرواية، ص 11-12.

8- احسان الأمين، المرأة أزم الهوية تحديات المستقبل، ص 22.

9 - وحيد جلال سديرة، جدلية الأنا والآخر، مقارنة لتجليات الآخر في الرواية العربية المغربية، ص 346.

10- الرواية، ص 12-13.

11- أمدرشدي صالح، الأدب الشعبي، ص 218.

12- الرواية، ص 16-17.

13- الرواية، 23-24-25.

14- فريد الزاهي، الصورة والآخر، رهانات الجسد واللغة والاختلاف، ص 19.

15- عصام واصل، الرواية النسوية العربية، مساءلة الأنساق وتقويض المركزية، ص 82.

16- الرواية، ص 58.

17- الرواية، ص 70-71-72.

18- الرواية، ص 92.

19- الرواية، ص 299-300.

- قائمة المصادر والمراجع:

1- أحمد رشدي صالح، الأدب الشعبي

2- جومانا، أحمد آل حمدان

3- شارلين ناجي هبسي باير باتريشيا لينا ليفي، مدخل إلى البحث النسوي ممارسة وتطبيقات.

4- Eco, Les Limites de l'interpretation

5- وحيد جلال سديرة، جدلية الأنا والآخر، مقارنة لتجليات الآخر في الرواية العربية المغاربية.

6- احسان الأمين، المرأة أزم الهوية تحديات المستقبل.

7- رشيدة بن سعود، المرأة والكتابة.

8- فريد الزاهي، الصورة والآخر، رهانات الجسد واللغة والاختلاف.

9- عصام واصل، الرواية النسوية العربية، مساءلة الأنساق وتقويض المركزية.

10- توريل موي، النسوية والأنثى والأنوثة، تر: كورنيليا الخالد.